الأسرة الرومانية زمن الإمبراطور أوغسطس "27ق.م–14م"

د.أحمد محمد أنديشـة – جامعة مصراتة

أ.حميدة عويدات القماطي – جامعة المرقب

مقدمـة:

شكلت الأسرة النـواة الأساسيـة في تركيبة المجتمع الروماني[1]، ومارس رئيسها تحت سمع القانون وبصره سلطة سيادية على كل أعضائها الآخرين[2]، وتتألف الأسرة من أبي الأسرة (pater familias) والزوجة والبنات غير المتزوجات والأبناء بالمولد أو بالتبني وزوجاتهم وأبنائهم، وعبيد الأسرة وأتباعها ومواليها[3].

كان الأب الوحيـد المعترف بـه "أمام المجتمع الروماني" مالكًا لكل ثروة الأسرة، وإذا سمح لابن أو عبد أن يمتلك شيئًا فهذا تفضل منه وتنازل كبير، ويعرف ذلك باسم (peculium) أي جزء صغير من الممتلكات العينية، كما يجوز له في بعض الأحيان أن يصدر أمرًا بالموت على الزوجة أو الابن أو العبد، وبمرور الوقت بدأ القانون يتدخل لحماية أعضاء الأسرة ضد حالات التطرف الشديد والسلطة المطلقة للأب[4].

– الأب (Pater):

وهـــو أكبر الأعضاء سنًّا، وله سلطة مطلقة في تصريف شؤون الأســرة، فهو بالنسبة للأســرة (pater familias) أي: رب الأسرة والمسؤول الأول عنها، وعن كل

1– إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى عام 133ق.م، ج: 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978م، ص89.

2– محمود إبراهيم السعدني، تاريخ وحضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2007م، ص63.

3– إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، منشورات جامعة سبها، 1996م، ص107.

4– محمود إبراهيم السعدني، مرجع سابق ص63.

أفرادها، ولهذا كان يزاول سلطة الأب على زوجته وأولاده، وهو ما يُعرف باصطلاح (Patria Potestas) كان عليه واجب الحماية أو الولاية (Patronatus) وهذه السلطة تشبه إلى حد بعيد سلطة القناصل في بداية العصر الجمهوري، ومقابل هيمنته على أسرته، كان عليه واجبات تجاهها مثل الرعاية وتأمين الحاجات المعيشية، وتقديم القرابين وإقامة الشعائر الدينية استرضاء للآلهة، ويتم ذلك بمشاركة أفراد الأسرة[1]، وحين يتعلق الأمر باتخاذ قرارات نهائية بخصوص عضو من أفراد الأسرة، يرضخ الأب إلى رأى مجلس الأهل والأقارب؛ إذ كانت سُنة السلف (mos maiorum) بمثابة الواجب النفاذ، بدافع الالتزام الأدبي واحترامًا للتقاليد الجماعية[2] لذلك كانت سلطة الأب القوية عاملا من عوامل زيادة قيمة المنزل ووظيفته وجعلت من الأسرة وحدة اجتماعية، وبذلك تأكدت قيمة البيت الخُلقية، وكذلك وضحت أهميته القانونية والاجتماعية[3].

– الأم (mater) أو الزوجة:

كانت الأم لها منزلة مهمة أعلى بكثير من منزلة المرأة في بلاد الإغريق[4] فقد كان مركز المرأة في مجتمع أثينا أعلى قليلًا من منزلة العبيد المسترقين[5]، فالمرأة الرومانية تتمتع بمكانة بارزة داخل الأسرة الرومانية، فهي أم الأسرة (mater familias)[6] وسيدة المنزل تسيطر على العبيد وتوزع بينهم الأعمال المنزلية الشاقة من طحن وعجن وخبز وتشتغل بالحياكة وتدبير

1- إبراهيم رزق الله أيوب، مرجع سابق ص107.

2- محمود إبراهيم السعدني، مرجع سابق ص64.

3- بول مترو، المرجع في تاريخ التربية، ت: صالح عبد العزيز، ج: 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1949م، ص184.

4- نفسه.

5- أفلاطون، الجمهورية، ترجمة: عيسى الحسن، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2009م، ص30.

6- و.ج.دى بورج، ثراث العالم القديم، ترجمة زكى سوس، دار الكرنك، القاهرة، 1965م، ص249.

شؤون البيت[1]، إلى جانب مشاركتها لزوجها مكانته الاجتماعية، وأصبحت تشاركه الاحتفالات الدينية، وإقامة المآدب واستقبال الضيوف[2]، وكلما كانت أسرتها ذات نفوذ كبير زاد نفوذها وتأثيرها في المجتمع.

– الأبناء (Liberi):

وهم أبناء الأسرة سواء كانت الأسرة صغيرة أم كبيرة، يعيش في كنفها أبناء الرجل حتي المتزوجون منهم، والذي يملك كل السلطات، وكان عملهم يتمثل في مساعدة الأب في إنجاز الأعمال خارج المنزل، ومساعدة الأم بداخله، فكانت البنات دائما داخل المنزل[3]، ومن أجل الحفاظ على كيان الأسرة وبقائها، أقتضي الأمر وجود أبناء في الأسرة وعلى الأقل ولدًا واحد، وإذا لم يكن للأب وريث ذكر فإنه باستطاعته أن يتبنى ولدًا حتى تنتقل إليه السلطة بعد وفاته، ويخضع لسلطة الأب الذي تبناه، ولا يتعبد إلا لآلهة أسرته الجديدة، أما إذا كان للأب المتوفى أكثر من ولد، يُصبح الراشدون منهم آباء ويتقاسمون أملاك الأسرة الأصلية، في حين تبقى الأم والبنات غير المتزوجات منهن والأبناء القاصرون تحت سلطة أحد الأبناء الراشدين، حتى تتزوج البنات ويبلغ القاصرون سن الرشد، وفي حال وفاة أبي الأسرة الجديد قبل زواج البنات أو قبل بلوغ الأبناء القاصرين سن الرشد ينتقل هؤلاء جميعا إلى سلطة أبي أقرب أقارب المتوفي[4].

1- عمر رضا، جولة في ربوع التربية والتعليم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م، ص78.

2- إبراهيم نصحي، مرجع سابق، 217/1.

3- محمود إبراهيم السعدني، مرجع سابق ص 64.

4- إبراهيم رزق الله أيوب، مرجع سابق ص108.

– العبيد (Servi):

الأحرار ثم يبعونهم في سوق النخاسة، ومنها كان أثرياء الرومان يشترونهم بأسعار بخسة لمختلف الأغراض وبخاصة للعمل في ضياعهم الفسيحة[1]، وكان أبو الأسرة التي يعملون في ظلها يمارس عليهم سلطة السيد (Dominica potestas)[2].

– الأتباع أو الموالى (CLientes):

هم أناس أحرار وليسوا عبيدًا، ولكنهم يصاحبون سيادتهم دائما، ويقومون على خدمتهم، ويكونون دائما رهن إشارتهم في كل شيء وذلك لبقاء ما يجود به هؤلاء الأسياد (Domini) عليهم من نعم وهبات، ولهذا فإنهم يربطون مصيرهم بحياة سيدهم ومصيره، كما كانوا يحضرون باستمرار حيث سيدهم، فيترددون على بيت الأسرة، ويلبون طلباتها، آملين في حمايتها لهم ورعايتها إياهم، وكانت سلطة رب الأسرة عليهم سلطة الحامي أو الوالي (Patronatus) [3].

– عادات وتقاليد:

كان الطفل الروماني حين يولد يوضع تحت أقدام أبيه، فإما أن يرفعه من فوق الأرض، وبهذا يصبح عضوًا في الأسرة، أو يعرض عنه فيلقى في مفترق الطرق، أو يصبح من الرقيق، وذلك لفقر الوالد، أو لغير ذلك من الأسباب.وإذا ما اعترف الأب بطفله أقيمت عدة حفلات؛ ففي اليوم التاسع من ولادة الولد والثامن من ولادة البنت كان يقام يوم التطهير (dies Lustricus) وفي ذلك اليوم، سواء أقيم في المنزل أو المعبد كانت تقدم أضحية لتطهير الطفل، ثم يطلق عليه أحد الأسماء.

1– عبداللطيف أحمد على، التاريخ الروماني، عصر الثورة من تبيريوس جراكوس إلى أو كتافيوس أوغسطس، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م، ص115.

2– محمود إبراهيم السعدني، مرجع سابق ص 65.

3– نفسه.

وفي ذلك اليوم أيضًا، كان الآباء والأقارب والأصدقاء وحتى عبيد الأسرة يتقدمون للطفل بالهدايا المختلفة[1].

– تربية الأطفال:

كانت الأم الرومانية تقوم بإرضاع طفلها في غالب الأحيان، وإذا ما اختيرت مرضعة لإرضاعه –لسبب من الأسباب– كانت تُختار بدقة بالغة، وبوجه عام كانت الأم الرومانية تتعهد تربية أطفالها، ولا تلقى بهم في أحضان المرضعات والمربيات كما كان الحال في بلاد الإغريق[2]، وتشير المصادر القديمة إلى الدور الكبير الذي كانت الأمهات الرومانيات يقمن به في تربية أطفالهن[3]، ويتضح من ذلك أن الأسرة كانت مركز الحياة بالنسبة لكل روماني، و الأم الملكة المتوجة في كل منزل.

وضع الرومان أسس الفضائل المدنية في داخل الأسرة، فكانت الأسرة هي الدولة المصغرة، وكان الشعور بوحدة الأسرة شعورًا حقيقيًا، وكان هناك ولاء قوي لرب الأسرة باعتباره رئيسًا لها وممثلًا لعدد كبير من الأجداد، وكان يُعد المفسر لعرف الآباء والأجداد (Mos maiorum)، وكان النظام في الأسرة مطابقًا للنظام في الجيش القديم المؤلف من المواطنين ولنظام الدولة عامة، وقد غرس هذا النظام في النفوس الكرامة المثالية وضبط النفس، وكانت السلطة الأبوية التي لا يعلوها شيء في داخل الأسرة والنظام الأبوي مسؤولية أخلاقية كبيرة، وكان يكفي لتهدئة أي إنسان عاقل أن يدرك أن له سلطانًا على الحياة والموت في

1– وهيب إبراهيم سمعان، الثقافة والتربية في العصور القديمة، دراسة تاريخية مقارنة، دار المعارف، القاهرة، 1961م، ص323.

2– المرجع نفسه ص325.

3- Quintilian, Instiutio Oratoria, I 6, Trans. By frees, L.c.L;

داخل أسرته، وأبناؤه–أيضًا –كان لابد من تدريبهم من الناحية الجسمية والعقلية للقيام بنصيبهم في أعمال الدولة، فكل شيء اتجه إلى تشجيع شعور سام بالواجب[1].

– نظام التسمية:

نجد اسم الفرد يرتبط باسم العشيرة (gens)، واسم الأسرة (Cognomen)، مثل[2]: PuboLius conelius scipio أي اسم الشخص نفسه بوبليوس، واسم العشيرة هو كونيليوس، و اسم أسرته "لقبه" هو سكيبيو.

أما أسماء الإناث فكان عاديًا في العصر الجمهـــوري أن تُسمى النساء فقط بأسماء عائلاتهن (nomengentilre)، أو باسم عشيرة (gens)، بمعني أنهن لم يملكن أسماء شخصية، وإذا تزوجت فتاة تغير اسمها وحملت اسم العائلة الجديدة التي تصبح ابنة لها، وعند تعدد البنات تستخدم تعابير: مايور (maior) بمعنى الكبيرة، ومينور (minor) بمعنى الصغيرة، وترتيا (tertia)بمعنى الثالثة وهكذا، إلا أنه مع نهاية العصر الجمهوري بدأ منح الفتيات لقبًا شخصيًا (cognomina)، ويكون إما مؤنث أبيها (كوجنومينا)، مثل فيبسانيا اجريبينا (Vipsania Agrippina) بنت ماركوس فيبسانيوس أجريبا، أو ترث لقب أمها كما في لونيا لبيدا (Lunia Lepida) بنت اميليا لبيدا (Aemilia Lepida)، وبنت ماركوس لونيوس سيلانوس (marcus Iunius siLanus، بينما كلاوديا انتونيا (CLaudia Antonia) التي سميت على لقب جدتها انتونيا الصغيرة (minor (Antonia، وكلاوديا اوكتافيا (Claudia Octavia) على اسم أم جدتها اوكتافيا الصغرىOctavia)، كانتا ابنتي الإمبراطور كلاوديوس (C.A.Germanicus.claudius)، وبالطبع كان للنساء في محيط العائلة

بلوتارك "فلوطرخوس"، تاريخ الأباطرة وفلاسفة الإغريق، ترجمة جرجيس فتح الله، مج 3، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010م، ص1511.

1- ج.و.دف. تاريخ الأدب الروماني، ج: 1، ترجمة محمد سليم سالم، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، 1963م، ص57-58.

2- محمود إبراهيم السعدني، مرجع سابق، ص193؛ عبد اللطيف أحمد علي، مرجع سابق ص 5.

والأصدقاء أسماء شخصية، فمثلا بنت الفارس تيتوس بومبونيوس اتّيكوس (Titus pomponius Atticus) سُميت كايكيليا (Caecilia)، أوبومبونيا (Pomponia)، أواتيكا (Attica) في المصادر المختلفة، وكذلك أسماء التودد "الدلع".

واردة كتسمية توليا (Tullia) بنت شيشرون (Cicero)، وقد تخلي الناس في العصر الإمبراطوري عن النظام الكامل في التسمية، واختاروا الاسم الأول بحرية، كما كان الحال عند معظم المجموعات التي عاشت في الإمبراطورية الرومانية[1]، أما الرقيق من النساء فحملن الأسماء الموهوبة لهن من أسيادهن، والمعتوقات يحتفظن باسم الرق الكوجنومن (Cognomen) بجانب اسم عائلة عاتقهن، كذلك حمل المواطنون الجدد الاسم الثاني (gentile nomen) أي الكنية بمواطنتهم مضافًا لأسمائهم الشخصية[2].

– الملابس والزينة:

كان الأولاد والبنات يلبسون التوجا برايتيكستا (Toga Praetexta)، أي الجبة ذات الأهداب الأرجوانية، وهي تشبه ما كان الحكام والكهنة الرومان يلبسونها، كما كانوا يلبسون البولا (Bulla)، وهي عبارة عن حلقة مستديرة تُلبَس حول الرقبة، وكانت تُصنَع في بادئ الأمر من الذهب والفضة، ويلبسها أولاد الأشراف وأعضاء مجلس الشيوخ، ولكنها صنعت من الجلد حينما أصبحت شائعة بين كل الأطفال، وكانت تُعد كأنها تعويذة تمنع أثر العين الشريرة[3].

بعد السنين السبع الأولي التي كانت الأم تقوم فيها برعاية أطفالها، يتولى الأب تعليمهم قواعد النظافة وآداب السلوك، وأساطير الأبطال وتاريخ الوطن[4]، ويصاحبون الآباء إلى العمل الخاص والعام وفي الشارع وفي منصة الخطابة والمعسكر، بل في كل مكان، فكانت التربية الخلقية والمثل العليا جامدة شديدة، فقد كانوا يتعلمون الأناشيد الدينية و الأغاني

1- Dixon,S. , The Roman family, Oklahoma, 1988,pp.71-72.
2- Ibid. ,p.73.
3 – وهيب إبراهيم سمعان، مرجع سابق، ص 324.
4- Cicero,De Offices.II,46.Trans.by king,L. c.L.

القومية وكذلك ما يتعلق بقوانين اللوحات الاثني عشر[1]، ويشير أحد المصادر القديمة إلى العلاقة بين الأب والابن، حيث يذكر أن إيميليوس باولوس (Amilius Paulus) القائد والسياسي عندما لم يتم انتخابه قنصلا للمرة الثانية وجّه اهتمامه بتربية أبنائه في العلوم الرومانية وفي علوم الإغريق أيضًا، وكان يُحضر إليهم لهذا الغرض المعلمين ليعلموهم النحو والمنطق والبلاغة والرسم، والفروسية، ولم تعقه شؤون الدولة عن متابعة دراستهم و الإشراف على إنجاز تمارينهم، حيث كان خير أب في روما وأشدهم حبًا لأولاده[2].

ورغم كثرة مسؤوليات الإمبراطور أوغسطس (Augustus 27 ق م-14م) الرسمية فإنه كان يشرف بنفسه على تعليم أحفاده، فكان يعلمهم القراءة وغير ذلك من عناصر التربية، ويبذل جهدًا لتدريبهم على تقليد كتابته، وكان لا يتناول طعامًا إلا إذا جلسوا معه، كما كان لا يقوم برحلة إلا إذا سبقوا لعربته أو ركبوا في عربة ملاصقة له [3]، وتدل هذه الشواهد على عناية الأب والجد بتعليم الأبناء عناية بالغة.

وحينما يصل الولد سن السادسة عشرة تقريبًا كان يقام حفل خاص في منتصف شهر مارس تقريبًا من كل عام، يَخلع فيه لباس التوجا برايتيكستا، ويَلبس التوجا فيريليس (Toga virilis) وهي عبارة عن جبة بيضاء، دلالة على أنه قد أصبح من حقه أن يقترع في الجمعيات الوطنية ومن واجبه أن يخدم في الجيش، كما كان يخلع البولا من حول عنقه ويهديها إلى معبد الإله لاريس (Lares)، ثم يسير في موكب إلى المنتدى العام (Forum)، ثم إلى الكابيتول حيث يقدم قربانًا، ويسجل اسمه في سجل المواطنين الكاملين (Tabularium)[4].

1 – بلوتارك، مصدر سابق ص554– 555.

2 – بلوتارك، مصدر سابق، ص ص 554– 555.

3- Suetonius, Divus Augustus, Vii, 35,Trans.by Rolfe,l.c.l.

4 – وهيب إبراهيم سمعان، مرجع سابق، ص ص 325–326.

– الزواج:

كان الزواج عند الرومان أمرًا جديًا في غاية الأهمية ضمن الناحية الاجتماعية ؛ إذ يكفل للمجتمع ربة أسرة مؤهلة تؤدي وظيفتها بكفاءة، وهي بشكل أو بآخر تمد الوطن بالأبناء الصالحين الذين تقع على عاتقهم خدمة الوطن في الحرب والسلم[1]، وقد مارس الرومان ثلاثة أنواع من الزواج:

النوع الأول: هو الذي يعقد بين مواطنين رومان وفق أحكام القانون الروماني، وأهم ما يترتب عليه هو حصول الأبناء على حق المواطنة الرومانية، وهو ما يسمي كوم مونو[2] (Cum Munu)، ولإتمام هذا الزواج يقام احتفال ديني بحضور عشرة شهود وأحد كبار كهنة المعبد ليبارك الزواج بتلاوة عبارات مقدسة (solemnia verba)، وكان هذا النوع منتشرًا بين الأشراف (Patricii) ويعد من أقدم أنواع الزواج الروماني[3].

النوع الثاني: في هذا النوع من الزواج كانت سلطة الزوج تتحقق على الزوجة، عقد توقيع صفقة بيع صورية (Coemptio)، وهذا النوع لا يلزم إتمامه إلاحضور خمسة شهود، كما لا يلزم أي طرف بإقامة احتفال ديني من أي نوع[4]، ويسمى زواج سين ماون (Sin maun)[5].

النوع الثالث: ويُعد هذا النوع أبسط الأنواع، ويقوم أساسًا على اتفاق الزوجين على أن يعاشر كل منهما الآخر، في ضوء حقوق متساوية للطرفين، كما كان الزوج يمكنه ممارسة سلطته (manus) على زوجته إذا عاشرها معاشرة زوجية متصلة (Ouas)، لمدة عام

1- هشام صادق، التربية والحضارة، دار الندى، د.م، 1999م، ص177.

2- ول ديورانت، قصة الحضارة قيصر و المسيح أو الحضارة الرومانية، ج: 9، ترجمة محمد بدران، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، 1963م، ص143.

3- إبراهيم نصحي، مرجع سابق 216/1.

4- محمود إبراهيم السعدني، مرجع سابق ص192.

5- على عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، 1990م، ص229، عبدالرحمن يوسف، تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية، دار الكتاب الجديد، بيروت، "د.ت"، ص 185.

كامل، شريطة أن يكون ذلك دون انقطاع، ولو كان ذلك الانقطاع ثلاث ليالٍ فقط خارج منزل الزوجية، فإن ذلك يُفسد صلاحيات سلطته عليها[1]، ويسمى هذا الزواج الكونفارياتيو (Confarreatio)، ومعنى هذا اللفظ هو أكل كعكة معًا وهي مصنوعة من الدقيق ويشترك العروسان في أكلها[2].

لم يكن القانون الروماني يسمح للمواطنين الرومان بالزواج من أجنبيات، ولم يسمح بالجمع بين امرأتين في الوقت نفسه[3]، كما حرص الرومان على الزواج الطبقي، لهذا لم يُسمح في العصور المبكرة بالزواج بين طبقة النبلاء والعامة[4]، ويعود السبب في ذلك إلى خوف النبلاء من انتقال أموالهم إلى العامة ؛ لأنهم اعتبروا النساء العلة الوحيدة لتسرب الأموال وانتقالها من أسرة إلى أخرى أو من طبقة إلى أخرى[5]، إلا أن قانون كونوليا (Conuleia) الصادر عام 445 ق م ألغى هذا المانع ليصبح أمر الزواج بين الطبقتين أمرًا طبيعيًا كما مُنع الزواج بين الأحرار والعُتقاء، إلى أن أباحه مرسوم إمبراطوري صادر عن الإمبراطور أوغسطس والذي حرمه في نفس المرسوم على أعضاء مجلس الشيوخ وعائلاتهم، إلى أن أباحه الإمبراطور جستنيان (Justinian 518-565م)[6].

كذلك الجنود والرقيق لم يكن لهم الحق في أن يعقدوا زيجات قانونية ؛ ولهذا شاعت المعاشرة(concubitus) غير القانونية، والتي ينتج عنها أطفال غير شرعيين ؛ لأنهم قانونا بلا

1- محمود إبراهيم السعدني، مرجع سابق ص152؛ إبراهيم نصحي، مرجع سابق، 1/216-217.

2- جون هامرتن، تاريخ العالم، مج: 3، وزارة المعارف، دار النهضة العربية، القاهرة، 1970م، ص491.

3- الحسين أحمد عبد الله، مصر في عصر الرومان اصداء الاستغلال وانشودة البقاء دراسة في ضوء الوثائق البردية، عين للدراسات، القاهرة 2007م، ص52.

4- إبراهيم نصحي، زكى على، النظم الدستورية الإغريقية والرومانية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1941م، ص138.

5- جوستنيان، مدونة جوستنيان في الفقه الروماني، ترجمة عبد العزيز فهمي، عالم الكتب، بيروت، 1946م، ص337.

6- عمر ممدوح، القانون الروماني، دار المعارف، الإسكندرية، 1966م، ص 196.

أب، لكنهم أحرار (Sui iuris)، فالأم لا تملك سلطة رب الأسرة، و لو تزوج الوالدان لاحقًا لم يحصل الأولاد قانونًا حتى زمن جستنيان إلاعلى نوع من البنوة الشرعية (Adrogatio)، وإن كان الزوجان ليسا رومانيين كما كان الحال غالبًا في الولايات قبل قانون المواطنة للإمبراطور كاراكالا (Caracallus211–218)، فيعتبر الأبناء أغرابًا، وإن فقد أحد الزوجين مواطنته يعتبر الزواج لاغيًا تلقائيا[1].

كان الزواج ممنوعًا على الجنود، فاعتبرت عقود الزواج قبل التجنيد لاغية أيضًا، ومن المعروف أنه في أثناء الخدمة العسكرية ظل مثل هذا الزواج غير شرعي حتى عام 197م، عندما سمح الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس (Septmius Severus 193–211م) للجنود بعقد زيجات شرعية، وقبل هذا التاريخ كان أبناء ثمرة هذا الزواج لا يحصلون إلاعلى الوضع القانوني لأمهاتهم، فيما عدا أبناء الجنود الذين يسَّرحون تسريحًا مشرِّفًا، ويحصلون على حقوق المواطنة الرومانية[2].

– تدهور الحياة الأسرية:

ومنذ القرن الثاني ق.م بدأت تظهر في المجتمع الروماني ظاهرة التفكك الأسري التي ازدادت بشكل ملحوظ في القرن الأخير من العصر الجمهوري، نتيجة للحياة المترفة والانحلال الخُلقى، وبسبب تحرر الزوجة من سيطرة الزوج، وامتلاكها حرية التصرف في الممتلكات التي حصلت عليها نتيجة صداق أو ميراث، وفي ظل هذا الانحلال والبذخ انتشرت العلاقات غير الشرعية، كما شاع الطلاق لعدة أسباب[3]، فقد كان مفهوم الزواج عند الرومان رباطًا مقدسًا بين كلا الزوجين، يجمع بينهما مدى الحياة، وهو الرغبة السليمة الصادقة في الحصول

1- Dixon,S. ,op.cit. , pp.55-56

2– حسن أحمد حسن الأبيارى، المواطنون الرومان المقيمون في مصر منذ الفتح الروماني حتى صدور مرسوم انطونينوس في عام 212م، "رسالة دكتوراه غير منشورة"، جامعة عين شمس، القاهرة، 1993م، ص222.

3– حسين الشيخ، تاريخ وحضارة اليونان والرومان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987م، ص318.

على أزواج يتعاون بعضهم مع بعض في مختلف الأعمال[1] وينجبون أطفالًا يكونون عونًا لهم على مصاعب الحياة، غير أن هذا المفهوم ما لبث أن تغير وفقًا لتطورات المجتمع الجديدة، ليصبح الزواج مجرد عقد ضعيف، يسهل التحلل منه، الأمر الذي أدى إلى شيوع ما يُعرف بالزيجات الصورية[2].

ويعود السبب في تغير مفهوم الزواج والحد منه إلى العديد من الأسباب، والتي اختلفت بالنسبة للنساء عنها للرجال، أما النساء فقد كانت الحرية التي اكتسبنها سببًا رئيسًا في العزوف عن الزواج[3]، فالبيئة المتحررة التي تعيش فيها النساء كان لها أثرها المباشر عليهن، فأسرفن في مصاحبة العشاق، واتخاذ الخلان، [4]كما أهملت المتزوجات منهن رعاية أزواجهن، والدعائم التي من شانها الحفاظ على الروابط الزوجية السليمة[5]، حيث امتنعن عن إنجاب الأطفال، فانتشرت موانع الحمل بأنواعها، وكثرت عمليات الإجهاض[6]، وتفشت حالات قتل الأطفال بالرغم من تحريمها قانونيًا[7].

أصبح تفكير المرأة في العصر الإمبراطوري منصبًا علي العناية بمظهرها وجمالها وإهدار المبالغ الطائلة لشراء الملابس والحلي الثمينة، وفي صدى البذخ وإسراف نساء الرومان المبالغ الطائلة في شراء المجوهرات والملابس الثمينة، حيث اشتكى الإمبراطور تبيريوس (Tiberius 14-37م) من هذا الترف بقوله: ((كم نحن مولعون بالملابس وأدوات الزينة لنسائنا، ولدينا

1- ول. ديورانت، قصة الحضارة قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، ج: 10، ترجمة محمد بدارن، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، 1963م، ص303.

2- المرجع نفسه 192/9.

3- ول ديورانت، مرجع سابق، 320/10.

4- عبدالرحمن يوسف، مرجع سابق ص189.

5- إبراهيم نصحى، مرجع سابق 413/1.

6- عبد الرحمن يوسف، مرجع سابق ص189.

7- مونتسيكو، روح الشرائع، ج: 2، ترجمة: عادل زعيتر، دار المعارف، الأسكندرية، 1954م، ص162.

رغبة جامحة في اقتناء حلى وأحجار كريمة من الشرق، وكل هذا يستنزف ثروة الإمبراطورية من أجل الحلى، فإن أموال الإمبراطورية نرسلها للأمم الأجنبية حتى أعداء روما))[1].

أما عن أسباب الامتناع عن الزواج بالنسبة للرجال، فانحصرت في تغير نظرتهم للنساء فهم يرون إنهن أقل حياء، وأنهن أفرطن في ممارسة الحرية الممنوحة لهن بشكل سيء[2]، وأن الزوجة أصبحت لا تبادل زوجها الاحترام، ولها مطلق الحرية في الذهاب إلى الأماكن العامة والمنتزهات و دور التمثيل[3]، بل تعدته إلى كثرة طلب الطلاق، كما تشير المصادر التاريخية[4]. التاريخية[4].

كذلك عمت الخيانة بين أغلب النساء حتى المتزوجات منهن، ويوضح الشاعر أوفيد (Ovid 43 ق م-18م) ذلك بقوله: " ليس ثمة نساء طاهرات إلا اللاتي لم يطلبهن أحد، وإن الرجل الذي يغضب من صلات زوجته الغرامية رجل جلف"[5]، لهذا اكتفى كثير من الرجال باتخاذ الإماء رفيقات لهم في الفراش[6]، فالرجل ليس بحاجة للبحث عن نساء طيعات ؛ لأنه من السهل أن يلقاهن في كل مكان، وفي ذلك يضيف الشاعر أوفيد: ((ان روما لا تشكو من قّلة النساء الفاتنات، فلابد أن تجد هنا صفوة ما في العالم أجمع إنهن وافرات، الجميلات اللواتي تزخر بهن روما كثيرات كالنجوم))[7].

1- Tacitus , The Annales ,III , 53 , Trans. by Jckson , L. C. L.

محمد السيد عبد الغني، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1999م، ص145.

2- ول ديورانت، مرجع سابق، 320/10.

3- أوفيد، فن الهوى "آرس أمانوريا"، ترجمة تروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، 1992، ص89-90.

4- بلوتارك "فلوطرنوس"، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، ترجمة: جرجيس فتح الله، مج: 2، الدار الدولية للموسوعات، بيروت 2010م، ص 1175-1176.

5- ول ديورانت، مرجع سابق، 316/10-317.

6- Dixon ,S. , op.cit. ,p. 101.

7- أوفيد، قيثارة الحب، ترجمة علي كنعان، إصدارات المجمع الثقافي، أبوظبي، 2003م، ص210.

إصلاحات أوغسطس الاجتماعية:

شهدت الأوضاع السالفة الذكر العديد من المحاولات من قبل الأجهزة الحكومية الرومانية بهدف الإصلاح والتقويم، إلا أن أشهر الإصلاحات الاجتماعية والأخلاقية تبلورت في تلك التي وضعها الإمبراطور أوغسطس، فكان من الطبيعي أن يتوجه أوغسطس إلى حقل الإصلاح الاجتماعي والتقويم الأخلاقي، فالمجتمع الروماني كان في أشد الحاجة إلى مثل هذه الإصلاحات، فقد سقطت القيم والمثل العليا إبان الحروب الأهلية، وداس الناس على الأخلاق والتقاليد وتفككت الأسرة الرومانية، وخاصة التي فقدت عائلها، وقل عدد الرجال بينما تزايد عدد النساء مما أدى إلى انتشار الفساد الأخلاقي[1].

فيما بين عامي 19-18 ق.م أصدر الإمبراطور أوغسطس قانون يوليوس (Leges Juliae)، وقانون القنصلين ماركوس بابيوس (Marcus papius) وكونتوس بابايوس (Ouintus papaeus)، وكان الهدف منها هو مقاومة الانحرافات الأخلاقية، وزيادة النسل، وإحياء الفضائل الرومانية القديمة[2].

وقد تضمنت هذه القوانين الجديدة مواد قانونية تمنع طول مدة الخطوبة والطلاق، وفرضت على غير المتزوجين من الرجال والنساء الزواج في أقرب وقت ممكن، وعلى جميع المطلقات تحت سن الخمسين والمطلقين تحت سن الستين أن يتزوجوا خلال ثلاث سنوات، وفرضت على المخالفين عقوبات وجزاءات كثيرة، منها الحرمان الكلي أوالجزئي من تولي المناصب العامة، والمنع من حضور الألعاب والمهرجانات العامة، وفرض مثل هذه الجزاءات

1- سيد احمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1998، ص 134.

2-Arthur ,E.R. ; History of Rome to A.D.565, LONDON , 1970 , PP. 280-281 ; The Cambridge Ancient History , vol.X, Cambridge , 1971 ,P P. 443- 445.

على المتزوجين الذين لم ينجبوا، حتى في حالة العقم ! في حين كوفئ من لهم ثلاثة أولاد أو أكثر، بتفضيلهم في تولى المناصب العامة وسمي هذا الحق(Ius trium liberorum)[1].

كما اشتملت قوانين أوغسطس على قانون يحارب الزنا وخيانة النساء لأزواجهن، بأن أيدت حق الأب في أن يقتل ابنته الزانية والرجل الذي ارتكب معها الجريمة إذ فاجأهما لحظة ارتكاب الإثم، أما بالنسبة للزوج فقد أباح له القانون قتل العشيق فقط وليس الزوجة[2]، وفرض أوغسطس على الزوج ضرورة نفي الزوجة إلى الجزر البعيدة عن روما طوال حياتها[3].

وعلى أي حال كان أوغسطس أول من جعل الخيانة الزوجية قضية عامة تمس المجتمع الروماني بصرف النظر عن كونها قضية خاصة، إذ نصت هذه القوانين على إقامة محكمة أحوال شخصية للنظر في قضايا الخيانات الزوجية، ولم تقتصر إقامة الدعاوي على أحد الزوجين المرتكبين لجريمة الزنا من مهمة الدولة، بل أصبح من حق المواطن الروماني أن يبلّغ السلطات عن أي جريمة زنا، ويقدم مرتكبيها للمحاكمة وكانت عقوبة الزنا النفى إلى الجزر البعيدة عن إيطاليا [4]، وقد طبقت هذه العقوبة على كل من جوليا (julia) ابنة الإمبراطور

1- The Cambriage Ancient History ,PP.448-452
حسن أحمد حسن الأبيارى، مرجع سابق، ص ص 211–214.، مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص ص 100 –101، دونالد. ر. دلي، حضارة روما، ترجمة جميل يواقيم الذهبي، دار نهضة مصر للطبع، القاهرة، 1963م، ص207 مونتسيكو، مرجع سابق، ص ص 152–156؛ ول ديورانت، مرجع سابق، ص31.
2- السيد احمد على الناصري، مرجع سابق ص135.
3- ول ديورانت، مرجع سابق، 30/10.
4- سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق ص136.

أوغسطس الخليعة [1]، وعلى الشاعر أوفيد نتيجة العلاقات غير الشرعية بينه وبين جوليا حفيدة أوغسطس[2].

إن هذه الإصلاحات لم تلاقِ ترحيبًا، بل وجّه الكثير من السخرية والنقد إلى تشريعات أوغسطس الاجتماعية، وقد كان حكم تاكيتوس (Tacitus 54-117م) التهكمي على القوانين أنها قد أدت إلى ازدياد عدد الوشاة لاعدد الأطفال، فإن البلد تعانى الآن من قوانينها كما كانت تعانى فيما مضى من رذائلها [3]، ولا يستغرب إذا ما قوبلت هذه الإصلاحات بالرفض من قبل المواطنين الرومان نظر لقسوتها، ولأنها جاءت فجأة لتغير ما كان مألوفًا بالنسبة لهم، الأمر الذي دفع الإمبراطور أوغسطس لتعديلها في قانون جديد، صدر عام 12 ق م عُرف بقانون بوبيا بّيا (lex popia ppea))، خفف من خلاله بعض القيود التي من شانها حرمان العزاب من الإرث، كما زاد عدد السنوات التي تستطيع من خلالها الأرامل والمطلقات الحصول على حقهن في الإرث قبل الزواج مرة أخرى إلى الضعف[4].

لكن الإمبراطور ذاته لم يكن مراعيًا للقانون الذي أصدره حيث تزوج ثلاث مرات، الزوجة الأولى طلقها، والثانية أنجبت له جوليا، لكنه سرعان ما طلقها عندما وقع فى غرام ليفيا (livia) التي سرقها من زوجها وهي أم لطفل، وبلغ استهتاره بالقيم ذاتها أنه زوّج ابنته جوليا ثلاث مرات زواج مصلحة[5]، الزوج الأول كان ماركوس ماركللوس (marcus

1- Dio cassius Roman History , Lv , 13 , trans , by cary , l. c. l.

2- أوفيد، مصدر سابق، ص9؛ أحمد عثمان، الأدب اللاتينى ودوره الحضاري حتى نهاية العصر الذهبي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، 1989م، ص 274-275.

3- دونالد. ر. د دلى، مرجع سابق ص207.

4- The Cambridge Aneient History , pp. 452 – 456 ;

ول ديورانت، مرجع سابق، 32/10.

5- أوفيد، فن الحب، ص9- 10.

Marcellus) ابن أخت أوكتافيا[1]، وعند وفاته زوّجها صديقه ورفيق كفاحه القائد فسبانيوس اجريبّا (vespanius Agrippa)[2]، وعند وفات زوّجها من تيبريوس (Tiberius 14-37م) ابن زوجة ليفيا وبعدما أرغمه على طلاق زوجته فسبانيا اجريبنا (vespania Agrippina) التي كان يحبها كثيرًا ليتزوج ابنة الإمبراطور جوليا ليخلفه على العرش[3]، ومما اضعف تأثير هذه الإصلاحات هو منح هذا الحق لأصحاب النفوذ دون أن يستوفوا شروطه ! والأمر الذي يدعو للسخرية أن نجد بعضًا من أهم رجال الدولة يتمتعون بالاستثناء من هذة القوانين، مثل الوزير مايكيناس (Maecenas) المتزوج ولم ينجب، والقنصلين بابيوس وبابايوس اللذين سميت القوانين باسميهم كانا أعزبين وكذلك الشاعر فرجيلوس (vergilius) ، وهوراس (horac 65.l -8م)[4].

1- The Oxford Classical Dictionary , Oxford, 1996 , p. 341
2- The New Encyclkopedia Britannica , vol. 1 London , 1974 , p.367
3- The Oxford Classical Dictionary , pp. 777, 1523, 1601 .
4- مصطفى العبادي، مرجع سابق ص101.

قائمـة المصـادر والمراجع

أولا: المصـادر:

– المصادر المترجمة إلى العربية:

1- أفلاطون، الجمهورية، ت.عيسى الحسن، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2009م.

2- أوفيد، قيثارة حب، ت.على كنعان، إصدارات المجمع الثقافي، أبوظبي، 2003م.

3- ـــــــــــــ، فن الهوى "أرس أمانوريا"، ت: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.

4- بلوتارك "فلوطرنوس"، تاريخ الأباطرة وفلاسفة الإغريق ت: جرجيس فتح الله، مج: 1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010م.

5- ـــــــــــــ، تاريخ الأباطرة وفلاسفة الإغريق، ت: جرجيس فتح الله، مج: 2، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010م.

6- ـــــــــــــ، تاريخ الأباطرة وفلاسفة الإغريق، ت: جرجيس فتح الله، مج: 3، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010م.

7- جوستنيان، مدونة جوسنتيان فى الفقه الروماني، ت: عبد العزيز فهمي، عالم الكتب، بيروت، 1946م.

– المصادر الأجنبية:

1- Cicero ,De Officiis , trans. by. king , l. c. l.
2- Dio Cassius , Romon History , trans. by cary , l,c.l.
3- Quintilian , Institutio Oratoria , trans. by. Frees , l.c.l.
4- Suetonius , Divus Iulius , trans. by Rolfe , l.c.l.

5- Tacitus , The Annals , trans. by Jckson , l.c.l.

ثانيا: المراجع العربية:

1- إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، منشورات جامعة سبها، 1996م.

2- إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى عام 133ق.م، ج: 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978م.

3- إبراهيم نصحي، زكي علي، النظم الدستورية الإغريقية والرومانية، المطبعة الأميرية، القاهرة. 1941م.

4- أحمد عثمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري حتى نهاية العصر الذهبي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م.

5- الحسين أحمد عبد الله، مصر في عصر الرومان، أصداء الاستغلال وأنشودة البقاء، دراسة فى ضوء الوثائق البردية، عين للدراسات، القاهرة، 2007م.

6- بول مترو، المرجع في تاريخ التربية، ت. صالح عبد العزيز، ج: 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1949م.

7- ج. و. دف ، تاريخ الأدب الروماني، ترجمة محمد سليم سالم، ج: 1، مركز الشرق الأوسط، القاهرة، 1963م.

8- جون هامرتن، تاريخ العالم، مج: 3، وزارة المعارف، دار النهضة العربية، القاهرة، 1970م.

9- حسن أحمد حسن الأبيارى، المواطنون الرومان المقيمون في مصر منذ الفتح الروماني حتى صدور مرسوم انطونينوس في عام 212م، "رسالة دكتوراه غير منشورة"، جامعة عين شمس، القاهرة، 1993م.

10- حسين الشيخ، تاريخ وحضارة اليونان والرومان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987م.

11- دونا لد.ر.دلي، حضارة روما، ت. يواقيم الذهبي، دار نهضة مصر للطبع، القاهرة، 1963م.

12- سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1998م.

13- عبد الرحمن يوسف، تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية، دار الكتاب الجديد، بيروت، "د. ت".

14- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني، عصر الثورة من تبيريوس جراكوس إلى اوكتافيوس أوغسطس، دار النهضة العربية، بيروت 1973م.

15- على عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، دار الأمل للنشر والتوزيع، اربد، 1999م.

16- عمر رضا، جولة في ربوع التربية والتعليم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.

17- عمر ممدوح، القانون الروماني، دار المعارف، الإسكندرية، 1966م.

18- محمد السيد عبد الغني، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م.

19- محمود إبراهيم السعدني، تاريخ وحضارة روما منذ نشأة روما حتى نهاية القرن الأول الميلادي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2007م.

20- مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية / النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، دار النهضة العربية، بيروت، "د. ت".

21- مونتسيكو، روح الشرائع، ج: 2، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، الإسكندرية، 1954م.

22- هشام صادق، التربية والحضارة، دار الندى، 1999.

23- و. ج. دى بورج تراث العالم القديم، ت: زكى سوس، دار الكرنك، القاهرة، 1965م.

24- ول ديوانت، قصة الحضارة / قيصر و المسيح أو الحضارة الرومانية، ج: 9، ت: محمد بدران، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، 1963م.

25- ـــــــــــ، قصة الحضارة /قيصر و المسيحية أو الحضارة الرومانية، ج: 10، ت: محمد بدران، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، 1963م.

26- وهيب إبراهيم سمعان، الثقافة والتربية فى العصور القديمة دارسة تاريخية مقارنة، دار المعارف، القاهرة، 1961م.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

1- Arthur ,E.R., History of Rome to A.D.565 , London , 1970. Dixon,S., The Roman Family ,,Oklahoma , 1988

2- The Cambridge Ancient History , vol.x , Cambridge , 1971 .

3- The New Encyclopedia Britanica , vol.1 , London, 1974.

4- The Oxford Classical Dictionary , Oxford , 1996.